موقع الشيخ التركماني https://www.turkmani.com

مقال: ملاحظات واستدراكات على ديوان الإمام ابن حزم الأندلسي

المصدر: مجلة المناهل

بقلم: مصطفى الغديري

رقم العدد: 48

تاريخ الإصدار: 1 أكتوبر 1995

إعداد: موقع الشيخ عبد الحق التركماني

https://www.turkmani.com



ملاحظات واستدراكات على ديوان الامام ابن حزم الائندلسي

مصطفى الغديري(*)

سررت كثيرا حين وقع نظري، في إحدى المكتبات العمومية، على كتاب يحمل اسم «ديوان الإمام ابن حزم»، وظننت أنني وقفت على ضالتي، باعتباري مدرسا للأدب الأندلسي، وحمدت لصاحبه هذا العمل الذي جاء ليسد فراغا في المكتبة الأندلسية. وحين تصفحته أول الأمر وجدته يحمل قدرا لا بأس به من شعر الرجل، وقلت في نفسي لاشك أنه يضيف جديدا إلى ما سبق من شعر ابن حزم المنشور. ولما قرأته بامعان وتدبر، بدت لي مجموعة من الملاحظات قررت أن أنشرها تعقيبا على هذا العمل، وإفادة للباحث المهتم.

في البداية أذكر بأن هناك قاعدة علمية يستحضرها الباحثون كلما أقدموا على التأليف والدراسة؛ وهي أن دواعي البحث في موضوع ما تنبني على كون موضوع الدرس جديدا، لم يسبق أحد الدارسين إلى الخوض فيه، أو أن ما قيل فيه غير مستوف لجميع جوانبه، مما يدعو إلى استدراك أمور جديدة أو تصحيح وتوضيح مفاهيم وردت فيه غامضة أو ناقصة.

^(*) أستاذ جامعي، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة.

ولاشك أن الأستاذ الفاضل الدكتور صبحي رشاد عبد الكريم قد راعى هذه القواعد وهو يقدم على تحقيق ديوان ابن حزم ودراسته، كما جاء في عنوان الكتاب. الا أنني فوجئت بأن عمل الأستاذ الفاضل لا يتسم بالجدية المطلوبة في إخراج ديوان هذا الرجل العظيم، للأسباب الآتية:

أولا: إن ما جاء في هذا الديوان سبق نشره في مجموعات شعرية على شكل ملاحق في الكتب والدوريات، من هنا كان على الأستاذ الفاضل أن يعنون عمله هذا به مجموع شعر ابن حزم: جمع ودراسة ». اللهم اذا كان الأستاذ صبحي أراد أن يحقق من جديد هذا الشعر، وقد رأى في نشراته السابقة هفوات أو أخطاء وجب تصحيحها، وهو شبيء لم أقف عليه على طول صفحات هذا الديوان.

ثانيا: لا أدري كيف المجرّر الأستان الفاطل بأنه لم يطلع على كتاب تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة – للدكتور احسان عباس⁽¹⁾ وهو منشور منذ 1959 ومازال مؤلفه يصدره، بين الفينة والأخرى، منقحا ومزيدا. وآخر طبعة له – كما في علمي – هي السابعة سنة 1985. والكتاب لا تخلو منه مكتبة في العالم العربي، عامة كانت أم خاصة، بل يمكن القول انه لا تخلو منه مكتبة الطالب الجامعي فضلا عن مكتبات الباحثين المهتمين بالأندلسيات.

ولا أظن أن مكتبة كلية اللغة العربية بالمنوفية - حيث يدرس الأستاذ المحترم - تفتقر إلى هذا المرجع المتداول. وفي الوقت ذاته يقول الأستاذ المحقق: انه يظن أن الدكتور محمد الهادي الطرابلسي⁽²⁾ لم يطلع على جميع ما حققه الدكتور الطاهر أحمد

مكي من شعر ابن حزم في كتابه «دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة »، علما أن المحقق استفاد من العملين معا (كما أشار في الصفحات: 17-20). فبحث د. الطرابلسي صدر 1972، في حين صدر كتاب د. الطاهر مكي بعد ذلك ببضع سنوات. وقد كان على المحقق المحترم أن يقارن بين تاريخ صدور العملين قبل أن يصدر عنه هذا الظن (3) ولا أدري هل نسي أم تناسى أن يعود إلى تاريخ طبعات مراجعه ليوثق كلامه، وهو ما لم يفعله في كافة هوامش عمله، بل أكثر من هذا لم يحدد مصادر تحقيقه في قائمة خاصة على عادة كل البحوث العلمية.

ثالثا: أتساءل عن اضافة المحقق في نشره لقصائد الديوان المخطوطة وقد نشرت جميعا، وبعضها نشر أكثر من مرة، وهي كالآتي بحسب ترتيبها في الديوان من مرة، وهي

- -القطعة الأولى (ص: 37) نشرها الدكتور احسان عباس (ص: 37-374) وتجاوزها الدكتور الطاهر أحمد مكي لأسباب عللها في الصفحة 308⁽⁵⁾.
- القطعة الثانية (ص: 52) نشرها د. احسان عباس (ص: 374-382).
- القطعة الثالثة (ص: 63) نشرها د. احسان عباس: (382) والدكتور الطاهر أحمد مكى: (415).
 - القطعة الرابعة (ص: 63) نشرها د. احسان عباس: 384.
- القطعة الخامسة (ص: 64) نشرها د. احسان عباس: (385-383) ونشرها د. ط. أ. مكى (416).

- القطعة السادسة (ص 69) نشرها د. احسان عباس: (69-72) ووردت أيضا في رسالة محمد بن سليمان بن عبيد «شعر ابن حزم تحقيق ودراسة» قسم اللغة العربية أداب القاهرة قسم الرسائل بمكتبة الكلية رقم 3524 ص: 419
- القطعة السابعة (ص 73) نشرها د. محمد الطرابلسي (في حولية كلية الآداب المشار إليها ص: 164) ونشرها د. ط. أ. مكي: (409) كما توجد منها أبيات في الذخيرة: 173/1/1 . ط. احسان عباس والجذوة: 310 ط. الدار المصرية 1966 الاحاطة: 114/4 والنفح: 81/2 ط. إ. عباس.
- القطعة الثامنة (ص 79) نشرها د. الطرابلسي (170-172). والدكتور ط.أ. مكي (412).
- http://Archivebeta.Sakhrit.com - القطعـة التـاسـعـة (ص 82) نشـرها د. الطرابلسي: (172) والدكتور ط. أ. مكي (413).
- القطعة العاشرة (ص 84) نشرها الدكتور الطرابلسي (173-176) والدكتور ط. أ. مكي (413-415).

هذا بالنسبة للقصائد التي نشرها عن مخطوطة لها صورة بدار الكتب المصرية (كما يقول المحقق ص 30) وأصلها يوجد بالمكتبة الافريقية باستنبول. وتوجد أيضا نسخة مصورة منها بمكتبة جامعة الدول العربية، وبالمكتبة المركزية بجامعة قاريونس بليبيا.

بالاضافة إلى ما ذكرت فان هذه القطع توجد في رسالة » د. محمد بن سليمان بن عبيد «شعر ابن حزم تحقيق ودراسة »

هيأها تحت اشراف د. محمود على مكي 1401 هـ 1981 م. وليس في علمي ان كان هذا العمل منشورا أو ما زال مرقونا.

أما ما سماه «بالمنشورات المتفرقة من شعر ابن حزم في بطون الكتب» رقم 11 إلى 38 (ص 87-102) فلي عليها أيضا مجموعة من الملحوظات وهي كالآتى:

يفتقر هذا الجمع إلى جملة من القواعد العلمية في جمع النصوص وتوثيقها من ضبط الكلمات - الصعبة منها خاصة -ومقابلة الروايات، وترتيب مصادر التخريج. كما أنه لا يخضع لأي ترتيب معين، فقد بدأ بقافية الضاد ثم بعدها قافية النون، ثم الراء ثم الحاء، ثم الدال، فالنون ثم الباء... إلخ. وهذا يخالف المنهجية المتعارف عليها في ترتيب قطع المجموع الشعرى. وأكثر من هذا تساءلت مع نفسى وقلك الهل يلطح تجاور أملهات المصادر الأدبية الأندلسية في مثل هذا العمل، من أمثال الذخيرة، ومطمح الأنفس، ورايات المبرزين، وكتب ابن الخطيب؟ لأننى وجدت المحقق يعتمد على المصادر الفرعية ويهمل الأساسية، من ذلك مثلا قطعة رقم 29، جعل مصادر تخريجها هي: جذوة المقتبس (ط غير المحققة) بغية الملتمس، ومعجم الأدباء، مع العلم أن هذه القطعة وردت في الذخيرة: 1/2/1/1-73، ومطمح الأنفس: 281 والصلة لابن بشكوال 395/2، والمعجب للمراكشي: 73-74، والاحاطة 114/4 وكذلك قطعة رقم 30 أهمل فيها الذخيرة: 174/1/1 ورايات المبرزين والاحاطة: 115/4 وكذلك رقم 31، خرجها من بغية الملتمس، والجذوة، والمغرب، والوفيات، مع أنها وردت أيضا في مصادر أخرى أساسية وهي: الذخيرة: 174/1/1، والرايات: 69، وما قلت عن هذه النماذج ينسحب

على أكثر القطع المجموعة. بل أكثر من هذا أن السيد المحقق أقحم بعض الأسعار في المجموع لغير ابن حزم الظاهري، من ذلك القطعتان في الصفحتين: 91، 92 وهما لأبي المغيرة (ابن عم ابن حزم)، كما نص على ذلك ابن بسام في الذخيرة: 1/1/1661، والمغرب: 358/1 والمحقق نفسه قال: «وأرجح أن تكون هذه الأبيات لأبي المغيرة... والسياق يؤذن بأنها من كلام أبي المغيرة ». فما قيمة هذا الترجيح إذا لم يعمل المحقق في ضوئه؟ والمحقق لم يعتمد الذخيرة وانما اكتفى بنفح الطيب. إلا أنني فوجئت هذه المرة بالمحقق يقارن بين رواية الذخيرة والمغرب في حلى المغرب في الصفحة 90 هامش: 1 لكنني أرجح أن الأستاذ الفاضل لم يطلع على الذخيرة، وإنما نقل ذلك من هوامش كتاب الغرب في حلى المغرب الذي حققه وإنما نقل ذلك من هوامش كتاب الغرب في حلى المغرب الذي حققه د. شوقي ضيف منذ ما يزيد على أربعين سنة، يوم لم يكن كتاب الذخيرة محققا بجميع أقسامه وأجزائه.

وبهذه المناسبة ارتأيت أن أثبت في ذيل هذه الكلمة ما وقفت عليه من شعر ابن حزم، مما لم يرد في عمل الأستاذ الفاضل، من غير الرجوع إلى ما جاء في طوق الحمامة، عملا بما أعلنه في تقديمه لما سماه بديوان ابن حزم، حيث يقول: «فلم ننقل من طوق الحمامة بيتا، حيث يمثل جانبا من شعر الرجل ونثره مستقلا بذاته» (ص: 7).

- 1 -

قال ابن عبد الرزاق وأنشدني أبو الحسن على بن الأخضر التنوخي النحوي بحمص الأندلس، قال: أنشدني أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الحافظ لنفسه: (مجتث):

من لم ير العلم أعلى

(أخبار وتراجم أندلسية إعداد وتحقيق: د. احسان عباس، ص: 114 طبعة ثانية 1399 هـ/ 1979 م. دار الثقافة بيروت).

-2-

وقال أيضا: (الطويل)

إذا طلعت شهمس علي بسلوة إثار الهوى بين الضلُّوع غروبها

(الغيث المسجم في شرح لامية العجم للصفدي: 293/1. دار العلم لبنان، ب. ت.).

http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال ابن حزم يبكي ما حل بمدينته قرطبة غداة الفتنة: (طويل)

خلاءً من الأهلينَ موحشةً قَـفْرا ولا عمرت من أهلها قبلنا دَهْرا ولو أننا نَسْطيع كنت لنا قَـبْرا تُدمّ رنا طوعاً لما حلَّ أو قهرا سَقَتْك الغوادي ما أجلً وما أسرى رياضُ قوارير غَدَتْ بعدنا غَبْرا ولو سكنوا المروين أو جاوزوا النهرا سلام على دار رحلنا وغُودرَتْ تراها كأنْ لم تَغْنَ بالأمْسِ بلْقَعا فيا دار لم يقفرُك منا اخْتيارُنا ولكنَّ أقداراً من الله أنْفِذَتْ ويا خُيْر دار قَدْ تركِّت حميدةً ويا مُجْتلى تلكَ البساتين حقَها ويا دهر بلّغْ ساكنيها تَحِيدتي

فصبراً لسَطْو الدُّهْر فيهم وحكْمه لئن كان أظمانا فقد طال ما سقى وأيتها الدار الحبيبة لا يرم كانَّك لم يسكُنْك غيدٌ أوانسُ تفانوا وبادوا واسمرت نواهم سنصبر بعد اليُسْر للعُسْر طاعةً وإنيى ولو عادت وعدنا لعهدها ويا دُهْرنا فيها متى أنت عائدٌ فيا رُبُّ يوم في ذراها وليلة فوا جسمى المضنى ووا قلبي المغرى ويا دهر لا تبعد، ويا عهد لا تَحلُ سأندبُ ذاك العهد ما قامت الخَضْرا

وإن كان طعم الصبر مستثقلا مرا وإن ساءنا فيها فقد طال ما سراً ربوعَك جَوْنُ المُزْن يَهمى بها قَطْرا وصيد رجال أشبهوا الأنْجُم الزُّهرا لمثلهم أسْكَبَتْ مُلقلتي العبيري لعلُّ جميلَ الصَّبْرِ يُعْقبنا يُسْرِا فكيف بمن من أهلها سكن القَبْرا فنحمد منك العود ان عدت والكرا وصلنا هناك الشَّمْسَ باللَّهْو والبدرا ووانفسي الثكلى وواكبدي الحرا ويا همُّ ما أعدى ويا شنجْوالما البُرْو ebetal والتالو الجُدُ الما الشجى ويا بينُ ما أفرا ويا دمعُ لا تُجْمَدُ ويا سقم لا تبرا على الناس سقفا واستقلَّتْ بنا الغَبْرا

التخريج:

أعمال الأعلام لابن الخطيب: 107-108 تحقيق ليفي بروفنسال ط. بيروت، دار المكشوف، 1956.

طوق الحمامة، ورد فيها البيت السابع ط. حسن كامل الصيرفي ص: 94 وقد ألحق د. الطاهر مكى مجموعة من أبيات، القصيدة في من الطوق ط. ثالثة. 127، والشيء نفسه فعله صلاح الدين القاسمي في طبعته لطوق الحمامة ص 155 هامش: 14، وذيلها د. احسان عباس على طوق الحمامة في ملحق رقم 1 (رسائل ابن حزم 312/1 ط. أولى بيروت 1980).

-4_

قال ابن حزم في استدعاء أبي مروان عبد الملك بن زيادة الله بهذين البيتين: (سريع).

(رسائل ابن حزم: 230/2 تحقیق: د. احسان عباس ط. اولی 1981 بیروت) http://Archivebeta.Sakhrit.com

- 5 -

قال أبو محمد بن حزم في باب النسيب (سريع) لا تَلْحِبِ في حُبِّب إن بدا شاحبَ لون قد عراهُ النّحولُ وإنَّ غُسِصناً أبداً لا تَزُولُ عليه ِ شَمْسُ لَحَر بالذُّبولُ

(السحر والشعر لابن الخطيب: 66 نشره. خ. م كونتنت فرير، المعهد الاسباني العربي للثقافة. مدريد 1981). ورد البيت الثاني في الديوان ص: 95، رقم 24.

بدُءاً ولم يدر منه أمسلا زادَ لَعَهُ رِي بِذَاك جَهُ لا

وقال أيضا (مخلع البسيط). من ظُلُ يبُــغي فــروعَ العلْم فكلُّما ازْدادَ فيه سَعْياً

(الذخيرة لابن بسام: 171/1/1).



الهوامش:

- (1) أنظر ص 21 من الديوان http://Archivebeta.Sakh (2) انطلاقا مما كتبه «في حولية الجامعة التونسية العدد 9 سنة 1972 بعنوان «شعر ابن حزم »، ص 152-176
 - (3) الديوان ص 21
- (4) في كتابه تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة. ط. السابعة 1985
 - (5) دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ط. الثالثة .1981 دار المعارف.
